

مخطوطة في

علم البياض للشيخ الطيب المهاجي

أ. الهوامري ملاح*

لحمة موجزة عن المؤلف:

هو الطيب بن المولود بن مصطفى بن محمد بن مصطفى بن الفريح، ولد سنة 1300هـ / 1881م بقرية القعدة الواقعة حوالي 50 كيلومتر جنوب غرب مدينة وهران بين مدينتي سيق وزهانة.¹

بدأ تعليمه في بيت أبويه فحفظ القرآن الكريم وعمره تسع سنوات. وزاد في تعلم القرآن وأحكام التلاوة على ثلة من القراء الجزائريين في مقدمتهم الشيخ عبد السلام بن صالح الغريسي أتم على يديه القرآن الكريم في اللوح مرات بقراءة نافع من رواية ورش وقالون، وأخذ عليه أيضا كتاب الدرر واللوامع لابن بر في التجويد وتصوير الهمز من مورد الضمان للشريشي المعروف بالخرار، وبعض الشاطبية.²

وبعدما تشبع الطيب المهاجي بما أخذ من علوم القراء والقراءات، على الشيخ عبد السلام بن صالح الغريسي توجه إلى طلب العلم، وقد أداه اجتهاده وحرصه إلى الأخذ عن جماعة من كبار العلماء الجزائريين، مغاربة وتونسيين أمثال:

* كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية

- الشيخ الشعبي التنسي الجزائري (ت1351هـ / 1933م).
- الشيخ أبي شعيب الدكالي - حافظ المغرب - (ت 1356هـ / 1937م).
- الشيخ شعيب الجليلي قاضي الجماعة بتلمسان³.

تصدى الشيخ المهاجي للتربية والتعليم بمدينة وهران خلال فترة الاستعمار الفرنسي للجزائر لمدة فاقت نصف القرن من الزمن⁴، فكان يجلس لإلقاء الدروس الدينية واللغوية المتنوعة منها في الفقه المالكي مختصر الشيخ خليل، والرسالة لأبي زيد القيرواني، وفي الحديث النبوي الشريف كسره لصحيح البخاري وموطأ الإمام مالك، ودروس اللغة العربية كالنحو، الصرف وعلم البلاغة والبيان بجد واجتهاد رغم الظروف الصعبة والقيود التي فرضها الاستعمار على الشعب الجزائري خاصة في مجال تعليم الدين الإسلامي واللغة العربية.

وفي أواخر حياته التي قضاها كلها في التعلم والتعليم، جمع الشيخ المهاجي -رحمه الله- هذه الدروس العربية ولخصها في رسائل صغيرة بخط يده الكريمة بغية طبعتها، وهذه الرسائل هي كالتالي: رسالة في النحو ورسالة في الصرف، ورسالة في البيان ورسالة في علم المنطق.

وأهم كتاب جمعه الشيخ الطيب المهاجي - رحمه الله - وطبع في حياته هو كتابه المشهور "أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق لي في الماضي والحاضر" الذي رتبته على مقدمة وثلاثة مقاصد وخاتمة وتذييل، في المقصد الأول خصصه لنشأته وولادته، والمقصد الثاني لتعلمه القرآن حفظاً وإتقاناً وتجويداً ورواية، ثم توجهه لطلب العلم والسعي في تحصيله، وجعل موضوع المقصد الثالث

جلوسه للتدريس والتعليم، وكثيرا ما يشير فيه عند كل مناسبة إلى مسائل لغوية وأدبية حرصا منه على الفائدة؛ فقد ذكر "من أقسام العلوم ما يجب تعلمه وجوبا عينيا وما يجب كفاية .. ويدخل في الواجب الكفائي ما يتوقف عليه فهم العلوم الشرعية من لغة ونحو وصرف ومعان وبيان".⁵

وقد قمنا في إطار أعمال مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية بنشر آثار الشيخ الطيب المهاجي رحمه الله في كتاب بعنوان الآثار العلمية للشيخ الطيب المهاجي الجزائري تحت إشراف ومراجعة الدكتور عبد المجيد بن نعمة مدير المخبر. وصف الرسالة المخطوطة في علم البيان:

الرسالة مكتوبة بخط المؤلف في ورق أبيض حجم (21- 27) وتحتوي على سبعة عشر صفحة، بمعدل 14 سطر في الصفحة، وتسع كلمات في السطر، مكتوبة بخط مغربي مقروء، فيها حالات من الحذف والشطب، ومما يلاحظ فيها أيضا من مطالعتها أن المؤلف كتبها ويده ترتجف لكبر سنه، في حدود عام 1965م.

وقد أخبرنا ابنه الشيخ محمد الشريف رحمه الله أن والده كتب هذه الرسالة مع الرسائل الأخرى في أواخر عمره، وقد قام هو شخصيا أي الشيخ محمد الشريف بإعادة كتابتها في نسخة ثانية بخط مغربي واضح، وجميل في كرايس صغيرة الحجم كل رسالة في كراس.

نصوص من الرسالة المخطوطة:

مقدمة المؤلف:

الحمد لله الذي خص الإنسان بالبيان وألهمه حسن التعبير في التبيان والصلاة والسلام على أفصح ناطق بالضاد سيد ولد عدنان وعلى آله وصحبه الحائزين قصب السبق في مضممار البلاغة والعرفان.

أما بعد فهذه رسالة تجمع مسائل هامة من علم البيان تمهد للمبتدئ سبيل الفهم لنفيس هذا العلم، وإني سميتها " الهداية السننية لتلامذة المدارس الابتدائية" وبالله المستعان وعليه التكلان.⁶

اعلم أن البيان⁷ أحد فنون البلاغة وهو لغة الإيضاح. واصطلاحاً بالمعنى المقابل لعلم المعاني، وعلم البديع، علم بأصول يعرف بها إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة، بعضها أوضح من بعض في الدلالة على ذلك المعنى، كالكرم مثلاً فإنه معنى يعبر عنه بالحقيقة كزيد كريم.

وبالتشبيه غير البليغ وهو ما ذكرت فيه أداة التشبيه كقولنا: زيد كحاتم.

وبالتشبيه البليغ وهو ما حذف فيه الأداة كقولنا: زيد حاتم.

وبالمجاز "كرأيت اليوم في الجمع حاتماً" وإيراد هذه الطرق يجري على حسب ما يقتضيه الحال، فليس من البلاغة أن يؤتى بالمجاز في مقام يقتضي الحقيقة ولا العكس.⁸

تقسيم اللفظ: ثم أتى إلى تقسيم اللفظ بعد أن عرفه "بالصوت المشتمل على بعض الحروف"

واللفظ موضوع كزيد، ومهملة كديز مقلوب زيد، والموضوع مستعمل وغير مستعمل، والمستعمل حقيقة ومجاز، والمجاز عقلي ولغوي، واللغوي مرسل واستعارة، والاستعارة تنقسم إلى أقسام. واقتصر المؤلف في رسالته على شرح جميع هذه الأقسام التي تضمنها تقسيم اللفظ من الوجوه المذكورة على النحو التالي:

الوضع والاستعمال والحمل:

فالوضع⁹ تعيين اللفظ بإزاء المعنى، والاستعمال إطلاق اللفظ وإرادة المعنى، والحمل فهم السامع المعنى. فالأول صفة الواضع، والثاني صفة المتكلم، والثالث صفة السامع.

وباعتبار المستعمل حقيقة ومجاز¹⁰، بدأ بالحقيقة وهي عقلية ولغوية، فالعقلية إسناد الشيء لمن هو له " كأثبت الله البقل " واللغوية استعمال اللفظ فيما وضع له كاستعمال لفظ الأسد في الحيوان المفترس، والورد في النبات المعروف، والبرد بالتحريك في حب الغمام النازل من السماء.

المجاز: قسم المؤلف المجاز إلى قسمين عقلي ولغوي:

فالعقلي هو إسناد الشيء لغير من هو له لملازمة بينهما، كقوله تعالى: " يوما يجعل الولدان شيبا " أسند جعل الولدان شيبا إلى ضمير اليوم لوقوعه فيه من حيث أنه ظرف زمان وقوله تعالى: " وأخرجت الأرض أثقالها " أسند الإخراج إلى الأرض لكونها ظرف مكان للإخراج. وقوله تعالى: " فما رجت تجارتهم " الأصل فما ربحوا في تجارتهم، فأسند الربح للتجارة لملازمة لها.

وقوله تعالى: " ولا تطيعوا أمر المسرفين " الأصل لا تطيعوا المسرفين في أمرهم.

والمحاز اللغوي: هو استعمال اللفظ في غير ما وضع له كاستعمال الأسد في الرجل الشجاع وكاستعمال الورد في الخد والبَرْد بالتحريك في الأسنان والبنان في الأصابع في هذا البيت:

فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت وردا وعصّت على العناب بالبرْد
فألَفاظ هذا البيت كلها مجازية حيث استعير الأمطار للإنزال واللؤلؤ للدمع
والنرجس للعين والسقي للبلل والورد للخد والعناب للأصابع والبرد بالتحريك
للأسنان.

ولو أراد صاحب البيت الحقيقة لقال: أنزلت دمعا من عينها وبلت خدها
وعصت على أصابعها بأسنانها ولكنه عدل عن الحقيقة إلى المحاز لما تقرر عندهم
من أن المحاز أبلغ من الحقيقة، والذوق السليم يشهد بذلك.¹¹

ولما كان المحاز فرع الحقيقة توقف تحقيقه على العلاقة وعلى القرينة.
والعلاقة بالفتح هي المناسبة والأمر الجامع بين المعنيين الحقيقي والمجازي
ليتنقل بواسطة الأول إلى الثاني، كالجراءة في استعمال الأسد في الرجل الشجاع،
وكالبياض في استعمال البرد بالتحريك في الأسنان، وكالكرم في استعمال البحر في
الكريم.

والقرينة هي ما نصبه المتكلم دليلا على قصده مما يمنع إرادة المعنى الأصلي،
كالمعهد في قول القائل: شاهدت بحرا في المعهد؛ يريد عالما، فالمعهد قرينة تمنع
إرادة المعنى الحقيقي؛ لأن العادة تحيل وجوده في المعهد والقرينة تكون لفظية
كالمعهد في المثال المذكور، وتكون حالية بمعنى أن المقام يقتضيها ككون الحديث

جاريا بالمجلس في شأن الكرم فيعتمد المتكلم على هذه القرينة الحالية في صرف كلامه عن الحقيقة، ويقول: رأيت حاتما.

وتقييد القرينة بكونها مانعة من إيراد المعنى الحقيقي مخرج للكناية التي هي واسطة بين الحقيقة والمجاز، لأن قرينتها لا تمنع إرادة المعنى الحقيقي.

والكناية هي لفظ استعمل في لازم معناه مع جواز إرادة الملزوم فيصح إرادة المعنى الحقيقي أيضا، كقولهم: فلان مهزول الفصيل وجبان الكلب، فإن هذه كلها كناية عن الكرم، وقرينة الجميع الحالية؛ ولكنها لا تمنع إرادة المعنى الحقيقي لجواز الإخبار مثلا بكثرة الرماد أيضا.¹²

المجاز اللغوي:

وأما المجاز اللغوي فهو باعتبار العلاقة نوعان مرسل واستعارة، فإن كانت العلاقة غير المشابهة كالكلية والجزئية فمجاز مرسل، وإن كانت العلاقة المشابهة فاستعارة.

وقد مثل المؤلف كعاداته بالآيات القرآنية للمجاز المرسل للعلاقة الكلية بقوله تعالى: "يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ" المراد من الأصابع الأنامل إذ هي التي تجعل في الآذان إطلاق الأصابع عليها مجاز مرسل من إطلاق الكل وإرادة الجزء.

وعكسه في قوله تعالى: "فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ" من إطلاق الجزء على الكل إذ المراد من الرقبة الذات بتمامها. فالعلاقة في المثالين الكلية والجزئية.

وكالحالية والمحلية ومثل لهما مجتمعتين بمثال واحد في قوله تعالى: "خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ" فالزينة حالة أطلقت على محلها وهو الثياب؛ إذ المراد خذوا ثياب زينتكم، والمسجد محل أطلق على الحال وهو الصلاة إذ المراد عند كل صلاة، والعلاقة فيها الحالية في الأول المحلية في الثاني.

وكالسببية والمسببية في "رُعِينَا غَيْثًا وَأُمْطَرْنَا نَبَاتًا" فالأول من إطلاق السبب وهو الغيث وإرادة المسبب عنه وهو النبات، والثاني من إطلاق المسبب وهو النبات وإرادة السبب وهو الغيث وما إلى ذلك مما أنماه البيانون إلى خمس وعشرين علاقة أكثرها متداخل يغني بعضه عن بعض.¹³ ثم انتقل إلى الاستعارة¹⁴ وهي ما علاقته المشابهة ومثالها: "أَقْبَلَ عَلَيْنَا أَسَدٌ مُتَقَلِّدًا سَيْفَهُ".

وقد قسم البيانون الاستعارة إلى ثلاثة أقسام: تصريحية ومكنية وتخيلية.

- فالتصريحية كالمثال السابق وسميت بذلك لأنها صرح فيها بلفظ المشبه به.
- والمكنية عكسها لأنها هي التي صرح فيها بلفظ المشبه وطوي فيها لفظ المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه مثل: "في ساحة القتال شجاع يفترس أقرانه"، وكما يسمون هذا القسم بالإستعارة المكنية يسمونه بالكناية.
- والاستعارة التخيلية ما كان فيها المستعار له أمرا متخيلا لا تحقق له في الخارج بل صورة متوهمة كقول الهذلي:

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفت كل تيمة لا تنفع¹⁵

ويعلق المؤلف على البيت بقوله: فقد شبه المنية بالسبع تشبيها مضمرا في النفس والجامع بينهما هو الاغتيال وإهلاك النفوس في الكل وحذف المشبه به وهو السبع عن طريق الاستعارة المكنية والأظفار تخيل دال على السبع المقدر، فالأظفار قرينة المكنية- ثم زاد المؤلف في التوضيح - لما شبهت المنية بالسبع وصارت فردا من أفراد ادعاء أخذ الوهم يتخيل ويتصور أن المنية صورة شبيهة بأظفار السبع ثم استعار الأظفار المحققة وأطلقها على هذه الصورة المتخيلة فالمستعار في هذا التركيب ليس محققا حسا ولا عقلا بل هو أمر متخيل فقد اشتمل هذا التركيب على استعارتين مكنية وهي لفظ المنية وتخييلية وهي الأظفار وهذه الثانية لا تنفك عن الأولى لأنها قرينتها..¹⁶

وبعدها تعرض لأقسام في الاستعارتين المكنية والتخييلية مطلقة ومجردة ومرشحة وقدم لكل منها مثال توضيحي.

فالمطلقة هي التي لم تقتزن بما يناسب شيئا من الطرفين المستعار منه والمستعار له نحو "رأيت أسدا" وسميت مطلقة لإطلاقها عن التجريد. والمجردة ما قرنت بما يناسب المستعار له نحو "في المعركة أسد حامل سيفه" وسميت مجردة لتجريدتها من بعض المبالغة في التشبيه.

والمرشحة ما قرنت بما يناسب المستعار منه نحو: "رأيت أسدا له لبد" بكسر اللام وفتح الباء وهو الشعر الملتف برقبة الأسد فلفظ لبد ترشيح لأنه يناسب المشبه به وهو الأسد والترشيح في اللغة التقوية وهو أبلغ من التجريد ومن الإطلاق لاشتماله على تحقيق المبالغة في التشبيه.¹⁷

المجاز المركب:

ثم انتقل المؤلف إلى مبحث هام من أبحاث علم البيان فقال : المجاز إن كان في بعض كلمات الجملة سمي مفردا وهو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له كما تقدم. وإن كان المجاز الجملة بتمامها سمي مركبا ويعرف بأنه المركب المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة كقرينة المفرد ثم إن كانت علاقته غير المشابهة فلا يسمى باسم يخصه كاستعمال المركب الإخباري في الإنشاء لعلاقة التقاء أو السببية نحو قوله تعالى حكاية عن مريم عليه السلام: "قالت رب إني وضعتها أنثى" فهذا التركيب الإخباري من مريم مقصود به إنشاء التحسر على فوات ما كانت تتمناه من أن الحمل يكون ذكرا محررا لخدمة والأنثى لا تصلح لذلك.¹⁸

قال الشاعر:

هوأي الركب اليماني مصعد حبيب وجثمانني بمكة موثق

فقصد الشاعر بهذا التركيب الإخباري إنشاء التحسر والتحزن لمفارقة الحبيب وقد يستعمل الإنشاء في الخبر عكس ما قبله كقوله صلى الله عليه وسلم: "فليتوبوا مقعده من النار" فالتركيب إنشائي قصد به الإخبار أعني تبوأ. وإن كان المجاز المركب علاقته المشابهة سمي استعارة تمثيلية نسبة للتمثيل وهو التشبيه الذي وجهه منتزع من متعدد،نسبت هذه الاستعارة إلى هذا التمثيل لأنها مبنية عليه نحو: "إني أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى"¹⁹ شبه حال الشخص المتردد في الأمر الذي يقدم عليه تارة ويرجع عنه أخرى تقدا وتأخرا معنويين بحال رجل

قام ووقف يتردد في الذهاب فصار يقدم رجله تارة ويؤخرها تارة أخرى والجامع بينهما مطلق التردد في كل منهما، معنويا في المشبه وحسيا في المشبه به واستعير التركيب الدال على المشبه به وهو "إني أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى" بدلا من التركيب الدال على المشبه وهو "إني أراك تتردد في الأمر تعزم عليه تارة وترجع عنه مرة أخرى" على طريق الاستعارة التمثيلية لأن وجه الشبه في الطرفين منتزع من متعدد وهو التقديم والتأخير والرجل في جانب المشبه به والمبايعة والعزم على فعلها والعزم على تركها في جانب المشبه ومطلق التردد بين الشيئين وجه الشبه، وقد تواطأت كتب الفن على تصوير الاستعارة التمثيلية بهذا التركيب لشهرته وهو للوليد بن يزيد كتب به إلى مروان بن محمد وقد بلغه أنه متوقف في بيعته: "أما بعد فإني أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمده على أيهما شئت".²⁰

ومما يجري مجرى هذا المثل في كونه استعارة تمثيلية الأمثال السائرة كقولهم: "الصيف ضيعت اللبن" وقولهم: "لو ذات سوار لطمتني" وغير ذلك.

فن البديع:²¹

وهو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام أي الوجوه التي تحسن الكلام وتورثه قبولا وتزيده رونقا وطلاوة بعد رعاية أمرين:
الأول: مطابقة الكلام لمقتضى الحال وما يستدعيه المقام أي المطابقة المعلومة بعلم المعاني.

الثاني: وضوح الدلالة أي الخلو عن التعقيد المعنوي المعلوم من علم البيان. ووجوه التحسين المذكورة نوعان لفظي ومعنوي ولكل واحد منهما ألقاب وهاته بعض أمثلة كل من النوعين.

فمن ألقاب اللفظي الجناس ولما كان الجناس تاما وغير تام فإني أمثل للتام وحده وهو تشابه اللفظين في التلفظ بأن يتفقا في أنواع الحروف فكل من الحروف التسعة والعشرين نوع ويتفقا في عددها وفي هيئتها، والهيئة هي الكيفية الحاصلة للكلمة باعتبار الحركات والسكنات ويتفقا في الترتيب، فإن كانا من نوع واحد اسمين أو فعلين أو حرفين سمي ماثلا:

فالإسمان كقوله تعالى: "ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة" فالساعة الأولى المراد بها القيامة. والثانية المراد بها ساعة الأيام. والفعلان كقولهم: "لما قال لديهم قال لهم كذا وكذا" فالأول من القيلولة، والثاني من القول. والحرفان كأن يقال قد يجود الكريم، وقد يعثر الجواد، فقد الأولى للتكثير؛ والثانية للتقليل فاختلف معنى الحرفين.²²

وإن كان الجناس التام بين نوعين كاسم وفعل سمي مستوفي؛ كقول أبي تمام: ما مات من كرم الزمان فإنه يحيا لدى يحيى بن عبد الله وكقول الآخر:

وسميته يحيى ليحيا فلم يكن إلى رد أمر الله فيه سبيل فهذه الأمثلة لأحد ألقاب النوع اللفظي، وهذا اللقب كما ذكرنا يسمى بالجناس.

وأما النوع المعنوي من وجوه المحسنات فمن ألقابه الطباق²³ ويسمى التضاد أيضا وهو الجمع بين معنيين متضادين متقابلين ويكون ذلك إما بين اسمين كقوله تعالى: "وتحسبهم أيقاظا وهم رقود". أو فعلين كقول صخر الهذلي:
أما والذي أبكى وأضحك والذي أمات وأحيا والذي أمره أمر
أو بين حرفين كقوله تعالى: "لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت"
وكقول الشاعر:

على أي راض بأن أحمل الهوى وأخلص منه لا علي ولا ليا
ومن ألقاب النوع المعنوي التورية وهي أن يذكر المتكلم لفظا مفردا له معنيان أحدهما قريب إلى الفهم لكثرة استعمال اللفظ فيه، وبعيد لقلّة استعمال اللفظ فيه ويراد المعنى البعيد اعتمادا على قرينة خفية كقوله تعالى: "والسماء بنيناها بأيد" فلفظ أيد جمع يدلّه معنيان قريب وهو الجارحة وبعيد وهو القدرة اعتمادا على القرينة الخفية وهي استحالة الجارحة على الله تعالى وإنما كانت القرينة خفية لتوقفها على أدلة نفي الجريمة وليست مما يفهمها كل أحد.²⁴
والتورية وقعت في القرآن كثيرا حتى قال السكاكي: "أكثر متشابهات القرآن من التورية". وكما وقعت في القرآن وقعت في السنة كقوله صلى الله عليه وسلم حين سئل عند خروجه إلى بدر فقيل له: ممن أنتم؟ ولم يرد أن يعلم السائل فقال: "من ماء" أراد أنا مخلوقون من ماء فوري عنه بقبيلة تسمى ماء. ومن التورية قول أبي بكر أثناء الهجرة وقد سئل عن النبي صلى الله عليه وسلم، من هذا؟ فقال:

هاد يهديني. أراد أبو بكر رضي الله عنه يهديني إلى الإسلام، فوري عنه بهادي الطريق. ومن أمثلة التورية في كلام البلغاء قول المعري:

إذا صدق الجد افترى العم للفتى مكارم لا تخفى وإن كذب الخال
الجد هنا مشترك بين الأب والسعد ومراده هنا المعنى البعيد وهو الثاني.
والعم مشترك بين أخي الأب والجماعة من الناس ومراده الجماعة من الناس،
والخال مشترك بين أخي الأم والظن ومراده الظن.²⁵

خاتمة:

الحمد لله الذي وفقنا لإنجاز هذا العمل مساهمين بذلك في نشر رسالة علمية من رسائل شيخنا الطيب المهاجي - في علوم اللغة العربية- الذي قدم الكثير من الجهود والتضحيات عندما كانت الجزائر في أمس الحاجة لأبنائها. اهتم المؤلف بالتعليم أكثر من اهتمامه بالتأليف لهذا جاءت هذه الرسالة مختصرة، وقد حرص على تبسيطها وتيسيرها للمبتدئين لتسهيل الفهم والاستيعاب.

كتب المؤلف هذه الرسالة في أواخر عمره وكان قد ناهز الثمانين، ربما كتبها ويده ترتجف لهذا جاء فيها كثير من الحذف والشطب، وقد ساعدتنا النسخة الثانية من المخطوطة التي كتبها ابنه السيد محمد الشريف.

اهتم الشيخ المهاجي في رسالته بتنويع الأمثلة التي تسهل عملية الفهم والتحصيل فعدد الأمثلة بالآيات القرآنية، وثنى بالأمثلة من حديث النبوي والسيرة

النبوية، وأقوال الصحابة رضي الله عنهم، وكذلك اهتم بالأمثلة من الشعر العربي الأصيل.

ختم المؤلف رسالته البيانية بفن البديع وذكر بعض مسائله استطرادا حتى لا تخلو رسالته من الإيماء إلى فنون البلاغة الثلاثة المعاني والبيان والبديع، فجاءت التورية مسك الختام لأنها أعذب أنواع البديع وأكثرها دورانا على ألسنة البلغاء حتى قال الزمخشري- وهو حجة في هذا العلم-: "لانرى في البيان بابا أدق ولا ألطف من هذا الباب ولا أنفع ولا أعون على تعاطي تأويل المشتبهات من كلام الله تعالى وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم وكلام صحابته رضوان الله عليهم أجمعين".²⁶

الهوامش

- 1- الآثار العلمية للشيخ الطيب المهاجي الجزائري، مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا، جامعة وهران، مكتبة الرشاد، سيدي بلعباس، ص 34 .
- 2- المصدر نفسه، ص 54.
- 3- المصدر نفسه، صص 66-74.
- 4- في لقاء مع ابن المؤلف السيد محمد الشريف رحمه الله.
- 5- الآثار العلمية للشيخ الطيب المهاجي، ص 20.
- 6- مخطوطة علم البيان، ص 1.
- 7- يقول صاحب نظم الاستعارة:

حمدا لمن ألهمنا بيانا يبين عن أغراضنا تبيانا

نظم الاستعارة للشيخ الطيب رحمه الله، من كتاب: مجموع المتون فيما يذكر من الفنون، تصحيح الفقيه الأستاذ المؤذب سيدي محمد المختار ازويتن، رجب الفرد عام 1317هـ، طبعة حجرية.

- 8- المخطوطة، ص2.
- 9- والوضع تعيين للفظ ليفيد بنفسه المعنى الذي به أريد وقيل جعله دليل المعنى وذا أعم مطلقا فالتعنى المصدر نفسه، ص198.
- 10- ذكر بعض الباحثين في علم البيان أن الجاحظ يعتبر من الأوائل الذين تكلموا عن الحقيقة والجاز. ومنهم ابن قتيبة الدينوري ت 276هـ، وابن رشيق القيرواني ت 456هـ، وعبد القاهر الجرجاني ت 471هـ، والسكاكي ت 626هـ انظر: كتاب علم البيان للدكتور عبد العزيز عتيق، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2004م، ص103-106.
- 11- المخطوطة، ص4.
- 12- المصدر نفسه، ص5،6.
- 13- المصدر نفسه، ص6،7.
- 14- الإستعارة: لغة رفع الشيء وتحويله من مكان إلى آخر يقال استعار فلان سهما من كنانته: رفعه وحوله منها إلى يده. وفي الاصطلاح: ضرب من الجاز اللغوي علاقته المشاهدة دائما بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، وهي في حقيقتها تشبيه حذف أحد طرفيه. د. عبد العزيز عتيق: علم البيان، ص127.
- 15- البيت لأبي ذؤيب الهذلي خالد بن خويلد، وقد علق الخطيب القزويني على البيت بقوله: فإنه شبه المنية بالسبع، في اغتيال النفوس بالقهر والغلبة، من غير تفرقة بين نفاع وضرار، ولا رقة لمرحوم، ولا بقيا على ذي فضيلة؛ فأثبت للمنية الأظفار التي لا يكمل ذلك في السبع بدونها؛ تحقيقا للمبالغة في التشبيه. الإيضاح في علوم البلاغة، ص318.
- 16- وقد جاء رأي الشيخ الطيب المهاجي في الاستعارة التخيلية موافقا لرأي السكاكي. واختلف معه في أن الشيخ المهاجي جعل في هذا التركيب استعارتين مكنية وتخيلية، بينما السكاكي رآها استعارة تخيلية كما قال أحمد مصطفى المراغي: .. والتخيلية عنده قد تكون بدون استعارة بالكناية كقولك: أظفار المنية الشبيهة بالسبع قتلت فلانا، فقد صرح بالتشبيه فلا مكنية انظر: فصل في

- آراء للسكاكي في الحقيقة في المنية مع كون الاستعارة في الاستعارة تخيلية. علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع، ص273.
- 17- المخطوطة، ص10،11.
- 18- المصدر نفسه، ص11.
- 19- المصدر نفسه، ص12.
- 20- من مصادر هذا الفن التي ذكرت هذا المثال كتاب الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع للخطيب القزويني، دار الكتب العلمية، بيروت، ص312.
- 21- عرف الخطيب القزويني علم البديع بأنه علم يعرف به وجوه تحسين الكلام، بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة. كتاب الإيضاح.
- 22- المخطوطة، ص15.
- 23 - الطباقي عند المتأخرين من المحسنات المعنوية، وهو أول أنواعها عند الخطيب القزويني، والجناس من محسنات اللفظية، وهو أول أنواعها عنده أيضا. انظر: دكتور أحمد محمد علي: دراسات في علم البديع، مطبعة الأمانة، ط1، 1986م، ص77. ولهذا نجد أن الشيخ الطيب المهاجي اكتفى بذكرهما في كلامه عن أقسام البديع.
- 24- المخطوطة، ص16.
- 25- المصدر نفسه، ص17.
- 26- المصدر نفسه، ص17.